

تفسير البحر المحيط

@ 11 @ عهدهم . وعنـه أـيـضاً : إـلـى مـدـهـمـ ، إـلـى الـأـرـبـعـةـ الـأـشـهـرـ التـيـ فـيـ الـآـيـةـ . وـهـذـاـ بـعـدـ ، لأنـهـ يـكـونـ الـاستـثـنـاءـ لـاـ يـفـيـدـ تـجـدـيـدـ حـكـمـ ، إـذـ يـكـونـ حـكـمـ هـؤـلـاءـ الـمـسـتـثـنـيـنـ حـكـمـ بـاـقـيـ الـمـعـاهـدـيـنـ الـذـيـنـ لـمـ يـتـصـفـواـ بـاـمـ يـتـصـفـ بـهـ هـؤـلـاءـ مـنـ عـدـمـ النـقـصـ وـعـدـمـ الـمـظـاهـرـةـ . . . وـقـرـأـ عـطـاءـ بـنـ السـائـبـ الـكـوـفـيـ وـعـكـرـمـةـ ، وـأـبـوـ زـيـدـ ، وـأـبـنـ السـمـيـفـ : يـنـقـضـوـكـمـ بـالـضـادـ مـعـجمـةـ وـتـنـاسـبـ الـعـهـدـ ، وـهـيـ بـمـعـنـىـ قـرـاءـةـ الـجـمـهـورـ ، لأنـ مـنـ نـقـصـ مـنـ الـعـهـدـ فـقـدـ نـقـصـ مـنـ الـأـجـلـ الـمـضـرـوبـ . وـهـوـ عـلـىـ حـذـفـ مـضـافـ ، أـيـ وـلـمـ يـنـقـضـوـ عـهـدـكـمـ ، فـحـذـفـ الـمـضـافـ وـأـقـيـمـ الـمـضـافـ إـلـيـهـ مـقـامـهـ لـدـلـالـةـ الـكـلـامـ عـلـيـهـ . وـقـالـ الـكـرـمـانـيـ : هـيـ بـالـضـادـ أـقـرـبـ إـلـىـ مـعـنـىـ الـعـهـدـ ، إـلـاـ أـنـ"ـ الـقـرـاءـةـ بـالـضـادـ أـحـسـنـ لـيـقـعـ فـيـ مـقـابـلـتـهـ الـتـمـامـ فـيـ قـوـلـهـ : فـأـتـمـواـ إـلـيـهـمـ . وـالـتـمـامـ صـدـ الـنـقـصـ . وـاـنـتـصـبـ شـيـئـاًـ عـلـىـ الـمـصـدـرـ ، أـيـ : لـاـ قـلـيـلـاًـ مـنـ الـنـقـصـ وـلـاـ كـثـيرـاًـ ، وـلـمـ يـطـاـهـرـوـاـ عـلـيـكـمـ أـحـدـاًـ كـمـاـ فـعـلـتـ قـرـيـشـ بـبـنـيـ بـكـرـ حـيـنـ أـعـاـنـوـهـمـ بـالـسـلـاحـ عـلـىـ خـرـاءـعـةـ . وـتـعـدـيـ أـتـوـاـ بـإـلـىـ لـتـضـمـنـهـ مـعـنـىـ فـأـدـوـاـ ، أـيـ°ـ : فـأـدـوـهـ تـاـمـاًـ كـاـمـلـاًـ . وـقـوـلـ قـتـادـةـ : إـنـ"ـ الـمـسـتـثـنـيـنـ هـمـ قـرـيـشـ عـوـهـدـوـاـ زـمـنـ الـحـدـيـبـيـةـ مـرـدـوـدـ بـإـسـلـامـ قـرـيـشـ فـيـ الـفـتـحـ قـبـلـ الـإـذـنـ بـهـذـاـ كـلـهـ . وـقـوـلـهـ : يـحـبـ الـمـتـقـيـنـ ، تـنـبـيـهـ عـلـىـ أـنـ"ـ الـلـوـفـاءـ الـعـهـدـ مـنـ الـتـقـوـيـ ، وـأـنـ"ـ مـنـ الـتـقـوـيـ أـنـ لـاـ يـسـوـيـ بـيـنـ الـقـبـيلـتـيـنـ . . { وـإـلـاـ دـاـ اـنـسـلـاخـ الـأـشـهـرـ الـجـرـمـ فـاـقـدـلـتـلـوـاـ الـمـعـشـرـ كـيـنـ حـيـثـ وـجـدـتـمـوـهـمـ وـخـذـدـوـهـمـ وـأـحـصـرـوـهـمـ وـأـقـعـدـوـهـمـ لـهـمـ كـلـمـ مـرـضـدـ } تـقـدـمـ الـكـلـامـ عـلـىـ اـنـسـلـاخـ فـيـ قـوـلـهـ : فـاـنـسـلـاخـ . وـقـالـ أـبـوـ الـهـيـثـمـ : يـقـالـ أـهـلـلـنـاـ هـلـلـنـاـ كـذـاـيـ دـخـلـنـاـ فـيـهـ وـلـبـسـنـاهـ ، فـنـحـنـ نـزـدـادـ كـلـ لـيـلـةـ إـلـىـ مـضـيـ نـصـفـهـ لـبـاسـاًـ مـنـهـ ، ثـمـ نـسـلـخـ عـنـ أـنـفـسـنـاـ بـعـدـ تـكـامـلـ النـصـفـ مـنـهـ جـزـءـاًـ حـتـىـ نـسـلـخـ عـنـ أـنـفـسـنـاـ كـلـهـ ، فـيـنـسـلـاخـ . وـأـنـشـدـ : % (إـذـاـ ماـ سـلـخـتـ الـشـهـرـ أـهـلـلـتـ مـثـلـهـ % . كـفـيـ"ـ قـاـتـلـاـ سـلـخـ الـشـهـورـ وـإـهـلـلـ .) % .

وـالـظـاهـرـ أـنـ هـذـهـ الـأـشـهـرـ هـيـ الـتـيـ أـبـيـحـ لـلـنـاكـثـيـنـ أـنـ"ـ يـسـيـحـوـاـ فـيـهـ ، وـوـصـفـتـ بـالـحـرـمـ لـأـنـهـاـ مـحـرـمـ فـيـهـ الـقـتـالـ ، وـتـقـدـمـ ذـكـرـ الـخـلـافـ فـيـ اـبـتـدـائـهـ وـاـنـتـهـائـهـ . . . وـإـذـ تـقـدـمـ الـنـكـرـةـ وـذـكـرـ بـعـدـ ذـلـكـ فـاـلـوـجـهـ أـنـ"ـ تـذـكـرـ بـالـضـمـيرـ نـحـوـ : لـقـيـتـ رـجـلـاًـ فـضـرـبـتـهـ . وـيـجـزـ أـنـ"ـ يـعـادـ الـلـفـظـ مـعـرـ"ـ فـاـ بـلـ نـحـوـ : لـقـيـتـ رـجـلـاًـ فـضـرـبـتـ الرـجـلـ ، وـلـاـ يـجـزـ أـنـ"ـ يـوـصـفـ بـوـصـفـ يـشـعـرـ بـالـمـغـاـيـرـةـ لـوـ قـلـتـ : لـقـيـتـ رـجـلـاًـ فـضـرـبـتـ الرـجـلـ الـأـزـرـقـ ، وـأـنـتـ تـرـيـدـ الرـجـلـ الـذـيـ لـقـيـتـهـ ، لـمـ يـجـزـ بـلـ يـنـصـرـفـ ذـلـكـ إـلـىـ غـيـرـهـ ، وـيـكـونـ الـمـضـرـوبـ غـيـرـ الـمـلـقـىـ . إـنـ"ـ وـصـفـتـهـ بـوـصـفـ لـاـ يـشـعـرـ

بالمغايرة جاز نحو : لقيت رجلاً فضربت الرجل المذكور . وهنا جاء الأشهر الحرم ، لأن هذا الوصف مفهوم من قوله : فسيحوا في الأرض أربعة أشهر ، إذ التقدير أربعة أشهر حرم لا يتعرض إليكم فيها ، فليس الحرم وصفاً مشعراً بالمخايرة . وقيل : الأشهر الحرم هي غير هذه الأربعة ، وهي الأشهر التي حرم الله فيها القتال منذ خلق السموات والأرض ، وهي التي جاء في الحديث فيها (إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم : ذو القعدة ، ذو الحجة ، والمحرم ، ورجب) فتكون الأربعة من سنتين . وقيل : أولها المحرم ، فتكون من سنة . وجاء الأمر بالقتل على سبيل التشجيع وتقوية النفس ، وأنهم لا منعة عندهم من أن يقتلوا . وفي إطلاق الأمر بالقتل دليل على قتلهم بأي وجه كان ،